أسباب النزول وموقف الدكتورة عائشة بنت الشاطئ منها في تفسيرها البياني

أبو الوفا محمود*

جميل أختر **

أسباب النزول هي الوقائع والمناسبات والحوادث التي تقع، فتنزل الآية أو الآيات من القرآن الحكيم متحدثة عنها أو مبينة لحكمها أثناء وقوعها أو عقبة. ولكن ذلك ليس معناه أن نلتمس لكل آية في القرآن سبباً لنـــزولها أو قصة تلابس هذا النـــزول لأن ليس لكل سورة وآية أسباب نزول معروفة، بل إن فيه القصص التي تنزل عبرة وتسلية، ومنه آيات الأحكام، والناسخ والمنسوخ، وآيات الوعد والوعيد، وإن منه ما نـــزل ابتداءً من غير سبب. [1] وقد يكون سبب النزول إجابة لسؤال مؤمن، أو ردّا على مشرك، أو على سؤال عن شيئ من التاريخ الماضي أو عن غيب في المستقبل. كثير من السور والآيات ترتبط بالحوادث والاحداث التي وقعت ايام الدعوة كسورة البقرة والحشر العاديات،[2] او نزلت لحاجات ضرورية من الأحكام والقوانين الاسلامية كسورة النساء والأنفال والطلاق وأشباهها. [3] هذه القضايا التي سببت نزول السور أو الآية هي المسماة بـــ"أسباب النزول"، [4] فهل هذه الأسباب تخصص عموم الآيات أو أن العبرة بعموم لفظها؟ هناك قاعدة أصوليه "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، [5] وتناول الأمام الشافعي مسائل كثيرة متعلقة بالعموم والخصوص، فيذكر كلاماً صريحاً في كتابه الأم لأصول الفقه حيث يقول إن الأسباب لا تخصص العمومات فإن كثيرا من الآيات تنزل بأسباب أقوام وتكون لهم وللناس عامة... [6]

وقد تعرض المفسرون لهذه المسألة من الناحية التطبيقية في صورة قاعدة صيغتها "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلا إذا دل الدليل على التخصيص بالسبب" واعتمد عليها كثير منهم في تفسيرهم للآيات الواردة على أسباب، وفي الترجيح بين الأقوال. [7] معني أن اللفظ العام إذا ورد على سبب، فإنه يبقى على عمومه، ولا يقصر على سبب وروده، وهذا القول عامة أهل العلم من الفقهاء والأصوليين [8] منهم أبو حنيفة [9]، ومالك في إحدى الروايتين عنه [10]، والشافعي [11]، وأحمد في الصحيح من مذهبه [12]، وأكثر أصحابهم [13]، وهو القول المعتمد عند أكثر أهل العلم [14] من الأصوليين والفقهاء والمفسرين.

الدكتورة عائشة بنت الشاطئ تستدل أيضاً بهذه القاعدة في تفسيرها البياني وهي أسست منهجها حول أسباب النزول على نفس القاعدة الأصولية، فتكتب إن المرويات في أسباب النزول موضع أعتبار في فهم الظروف التي لابست نزول الآية، مع تقدير أن الذين عاصروا نزول الآية أو السورة، ربطها كل منهم بما فهم، أو بما توهم أنه السبب في نزولها، وهذا هو معنى قول علماء القرآن إن المرويات في أسباب النزول يكثر فيها الوهم و نقدر معه أن السببية فيها ليست بمعني العلية التي لو لاها ما نزلت الآية، و أن العبرة في كل حال بعموم اللفظ المفهوم من صريح نصها، لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية، إلا أن يتعين الإعتبار بخصوص السب الذي نزلت فيه، بدليل من صريح النص أو بقرينة بينة. [15]

عندما ننظر بتعمق ودقة تفسيرها البياني للقرآن فنعرف على أربع صور التي ذكرتها الدكتورة بنت الشاطئ في قضية سبب النزول لآية أو آيات، و ها هي:

---

*الأستاذ قسم اللغة العربية، بجامعة بنجاب، لاهور،باكستان

**محاضر في قسم الدراسات الإسلامية بجامعة غجرات، غجرات ،باكستان

الصورة الأولى: هي تذكر مرويات مشهورة حول سبب النزول لآية ولا تعقب عليه بقول. و من أمثلتها:

(1) تقول الدكتورة بنت الشاطئ في تفسير سورة الضحي إن المفسرين مجمعون على أن سبب النزول هو إبطاء الوحي في أوائله على الرسول – صلى الله عليه وسلم – حتى شق ذلك عليه، وقيل فيما قيل: ودّع محمدا ربه وقلاه. [16] إن الدكتورة قد ذكرت فقط إجماع المفسرين في سبب النزول حول مسئلة إبطاء الوحي و لم تقل شيئا في هذا السبب.

(2) "**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**" [17] وفي تفسير هذه الآيات تقول الدكتورة عائشة بنت الشاطئ: وقيل في سبب النزول إن بني سهم و بني عبد مناف تفاخروا أيهم أكثر عددا، فكثرهم بنو عبد مناف، فقالت بنو سهم: إن البغي أهلكنا في الجاهلية، فعادونا بالأحياء والأموات، ففعلوا، فكثرهم بنو سهم". [18]

الصورة الثانية: هي تذكر مرويات مشهورة حول سبب النزول لآية وتعقب عليه تحت القاعدة الأصولية المذكورة. و من أمثلتها:

(1) "**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**"، [19] تقول الدكتورة بنت الشاطئ في تفسير سورة الضحي إن المفسرين إختلفوا فيمن نزلت هذه الآية. ففى رواية أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد شكا إلى زوجته السيدة خديجة رضى الله عنها انقطاع الوحي وقال: إن ربي ودّعني وقلاني. فقالت: كلا والذي بعثك بالحق، ما إبتدأك الله بهذه الكرامة إلا وهو يريد أن يتمها لك، فنزلت هذه الآية... وفي رواية ثانية، أنها السيدة خديجة، وقد رابها فتور الوحى... لكن رواية ثالثة تقول: إن حمالة الحطب: أم جميل أمرأة أبي لهب هي التي قالت: يا محمد! ما أرى شيطانك إلا قد تركك... ورواية رابعة تقول: إن المشركين هم الذين قالوا في شماتة: قد قلاه ربه وودعه... بعد ذكر هذه الأسباب تقول الدكتورة: ولا نقف عندما اختلفوا فيه، فأسباب النزول لا تعدوا أن تكون قرائن مما حول النص، وهى باعتراف الأقدمين أنفسهم لا تخلو من وهم، والإختلاف فيها قديم، وخلاصة ما انتهى إليه وقولهم في أسباب النزول، أنها ما نزلت إلا أيام وقوعه، وليس السبب فيها، بمعنى السببية الحكمية العلية. [20]

(2) "**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**" [21] تقول الدكتورة عائشة بنت الشاطئ في تفسير هذه الآية: "...وإن يكن جمهرة المفسرين أكثر ميلا إلى عدّ التكاثر هنا مباهاة وتفاخراً، متأثرين في ذلك بما رُوى في أسباب النزول... وفي (البحر المحيط) أنها نزلت في اليهود... والآية لم تحدد لنا موضوع التكاثر، فليس من السهل أن نخصه بالمال على ما ذهب الراغب، أو نقصره على العدد كما قال الرازى، أو الموتى كما في النيسابورى.. والخطاب هنا عام لكل من ألهاهم التكاثر والتكالب على زينة الدنيا من مال وولد، مهما تكن خصوصية السبب الذى قيل إن الآية نزلت فيه. [22]

(3) تكتب الدكتورة بنت الشاطئ في تفسير سورة القلم: وذكر بعضهم في أسباب نزولها أنها أو معظمها في الوليد بن المغيرة المخزومى، وأبي جهل بن هشام المخزومى... وكونها نزلت في الوليد أو أبي جهل لا يقتضى الإعتبار بخصوص السبب، حيث لا قرينة تصرف إليه عموم لفظ الآية. و أسباب النزول لا تعدو أن تكون قرائن مما حول النص، تعين على فهم الظروف التي نزلت فيها السورة أو الآية. [23]

(4) "فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ" [24] تقول الدكتورة بنت الشاطئ في سبب نزول هذه الآية: "والإنسان في الآية لعموم الإنسان على

الإطلاق، وإن خصه بعض المفسرين بنفر قيل إن الآية نزلت فيهم: عتبة بن أبي ربيعة، وأبو حذيفة بن المغيرة في رواية عن إبن عباس، أو أبي بن خلف فيما روى عن الكلبي ومقاتل". [25]

(5) و كما تقول في سبب نزول سورة الهمزة: "قيل نزلت في الأخنس بن شريق كان يلمز الناس و يغتابهم، و خاصة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – و قيل: نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومى كان يغتاب المصطفى – صلى الله عليه وسلم – من ورائه، ويطعن عليه في وجهه، وقال محمد بن إسحاق في السيرة النبوية: "ما زلنا نسمع أن هذه السورة نزلت في أبي بن خلف"، وأيا من كان الذي نزلت فيه السورة، فالنذير عام لكل همزة لمزة... قال الزمخشرى في [الكشاف] ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح".[26]

(6) و تعقب الدكتورة بنت الشاطئ في سبب نزول سورة الماعون بهذه الكلمات: "وقالوا في أسباب النزول، إنها نزلت في أبي سفيان، أو العاص بن وائل السهمي، أو الوليد بن المغيرة، أو أبي جهل، وقال إبن عباس: نزلت في منافق جمع بين البخل والمراءاة... والعبرة على كل حال بعموم اللفظ". [27]

الصورة الثالثة: هي تذكر سبب النزول المروي في آية ثم تأتي القاعدة الأصولية، "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" بذكر الألفاظ لهذه القاعدة للتأكيد، و من أمثلتها:

(1) تكتب الدكتورة بنت الشاطئ في سبب النزول لآية الليل بأنها نزلت في أبي بكر الصديق وإنفاقه ماله على المسلمين، وأمية بن خلف وبخله وكفره، وفي قول آخر: إنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري، ورووا قصة النخلة التي عرض الرسول صلى الله عليه وسلم – على أحد المنافقين أو اليهود أن يبيعها بنخلة في الجنة فأبي، واشتراها أبو الدحداح. والعبرة على كل حال بعموم اللفظ، والسياق صريح التوجيه إلى عامة الناس، "إن سعيكم لشتى"[28]. [29]

(2) "**أَيَحْسَبُ أَن لّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ**" [30] تقول الدكتورة بنت الشاطئ في سبب نزول هذه الآية المذكورة، ولا حاجة بناء إلى تحديد مرجع الضمير في "أيحسب" بشخص معين، هو في قول: أبو الأشد، كان قويا يبسط له الأديم العكاظي فيقوم عليه ويقول: "من أزلني عنه فله كذا"، فلا يترع إلا قطعا، ويبقى موضع قدميه، أو هو في قول آخر: الوليد بن المغيرة، وغروره بقوته وجاهه وماله ذائع معروف فالعبرة هنا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لو صح أن الآية نزلت في أحد الرجلين... وهو الإنسان بعامة...[31]

(3) "**أَرَأَيْتَ الّذِي يَنْهَى. عَبْدًا إِذَا صَلّى. أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى. أَوْ أَمَرَ بِالتّقْوَى. أَرَأَيْتَ إِنْ كَذّبَ وَتَوَلّى. أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنّ اللّهَ يَرَى.**" [32] تقول الدكتورة بنت الشاطئ في تفسير هذه الآية وجمهرة المفسرين على أن هذه الآيات إلى آخر السورة نزلت في أبي جهل بن هشام كان ينهى محمدا – صلى الله عليه وسلم – عن عبادة الله. وفي قول عن الحسن البصرى: هو أمية بن خلف، كان ينهى سلمان الفارسي – رضى الله – عن الصلاة... وذكر الفخر الرازي في تفسير هذه الآيات وجهين: الأول: أن الآيات الخمس الأولى من سورة العلق هي التي نزلت في أول الوحي، ثم نزلت البقية في أبي جهل بن هشام، وأمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بضمها إلى أول السورة، والوجه الثاني: أن تحمل الآيات على عموم اللفظ في الظاهر، وهو أن الإنسان، جملة الإنسان، خلقه الله من علق وأنعم عليه، فإذا به يطغى ويتجاوز الحد في المعاصى وينسى أن إلى ربك الرجعى، فينهى عن عبادة الله، وكان أولى به، وقد أنعم عليه خالقه، أن يكون على الهدى ويأمر بالتقوى... وكلا الوجهين جائز. فسياق

الآيات في السورة يشعر بأنها نزلت بعد أن أبلغ المصطفى رسالة ربه، وجهر بعبادته وصلاته فووجه بالتكذيب، ثم لا تمنع خصوصية السبب في نزول هذه الآيات من حملها على عموم اللفظ كما قرر الأصوليون. (33)

(4) "**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ**" (34) تقول الدكتورة بنت الشاطئ في تفسير هذه الآية، وللمفسرين في الإنسان قولان: إنه لعموم الجنس، أو إن (أل) للعهد مرادا بالإنسان جماعة من المشركين: الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن عبد المطلب في رواية عن إبن عباس، وقيل نزلت في أبي لهب، وفي خبر مرفوع أنها نزلت في أبي جهل... وذلك لأنهم كانوا يقولون إن محمدا لفي خسر، فأقسم تعالى بالضدّ مما يتوهمون. ولا نقف عندما اختلفوا فيه، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذي نزلت فيه الآية، والسياق على ظاهره لا يخص الإنسان بفلان أو بآخر. والتعميم فيه مستفاد صراحة من الإطلاق... (35)

الصورة الرابعة: وفي بعض الأحيان تذكر سبب النزول لآية ثم تردّ سبب النزول برأي حاسم، ومن أمثلتها:

(1) "**مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى**" (36) تقول الدكتورة بنت الشاطئ في تفسير هذه الآية، ولا نرى أن نقف هنا عند ما ورد في بعض كتب التفسير من تحديد سبب الإبطاء في الوحي، كالذي ذكره الرازي والنيسابوري من أن اليهود سألوا النبي– صلى الله عليه وسلم – عن ثلاث مسائل: الروح، وذي القرنين، وأصحاب الكهف، فقال – صلى الله عليه وسلم – سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، أو أن الوحي أبطأ؛ لأن جروا للحسن والحسين – رضي الله عنهما – كان في بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال جبرئيل: "أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة؟" أو أنه كان فيهم من لا يقلم الأظفار... وحكاية الجرو هذه وردت كذلك في [البحر المحيط لأبي حيان]، ولا أدري كيف فاتهم أن الحسن والحسين – رضى الله عنهما – ولدا بعد الهجرة بثلاث سنوات أو أربع، وسورة الضحى من أوائل الوحي، نزلت بمكة قبل الهجرة بسنين، والذي يعطيه ظاهر النص أن فتور الوحي ظاهرة طبيعية، شأنها شأن سجو الليل بعد إشراق الضحي، وهذا يغنينا عن تقديم أسباب والتماس علل للإبطاء في الوحي، لم يتعلق القرآن بذكرها. (37)

نتائج البحث:

- قد يجيء كثيراً من هذا الباب قولهم: هذه الآية نزلت في كذا؛ كأسباب النزول المذكورة في التفسير، كقولهم أن آية الظهار نزلت في امرأة أوس بن الصامت، وأن آية اللعان نزلت في عويمر العجلاني أو هلال بن أمية، وأن آية الكلالة نزلت في جابر بن عبدالله. إنما غاية هذا القول إنما تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ. فهي متناولة لذلك الشخص وغيره ممن كان بمنزلته. وما كانت الدكتورة عائشة بنت الشاطئ مخالفة لهذا الرأي ولكنها رفضت قول من قال وجزم في قوله بأن هذه الآية نزلت في كذا ويعني بأنها خاصة بتلك الواقعة أو الحادثة بدون عموم للآخر.(38)
- يمكن أن يتوهم القارئ بأن الدكتورة عائشة بنت الشاطئ كانت تخالف معرفة سبب النزول للآية أو الآيات، فكيف وكانت مفسرة للقرآن بالمنهج البياني الذي يلزم للمفسر أن يكون عالما لأبحاث علوم القرآن لجودة التفسير. كما قال الواحدي: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"(39) وقال الإمام ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"(40) وقال ابن دقيق العيد: "معرفة سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن".(41)

- قد يخفى سبب النزول عن الكثير من الصحابة، وقد يعرفه البعض منهم بقرائن لا يحصل معها الجزم. وقد يختلفون في الأسباب، فيذكر الواحد سببًا يختلف عن الذي ذكره غيره.
- ليس معنى أن "العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب" أن نتغافل عن السبب؛ فصورة السبب قطعية الدخول، وما عداها فدخوله ظني، بمعنى أن سبب نزول الآية وسبب ورود الحديث لا يكون خاصًّا فيمن نزلت فيه الآية، أو ورد الحديث بسببه، وإنما يكون عامًّا شاملاً لغيره؛ فالعامُّ يشمل جميع أفراده وصوره، وصورة السبب التي نزلت الآية من أجلها قطعية الدخول.
- فمعرفة سبب النزول له أهمية كبيرة نجملها فيما يلي: (1) فهم معنى الآية، ومعرفة المراد منها وإزالة الإشكال الوارد عليها. (2) إبراز الحكمة التي قصدها الشارع من الحكم. (3) معرفة تاريخ التشريع والأحوال الاجتماعية السائدة حين نزول الأحكام التشريعية، والتدرج في تشريع بعض الأحكام لطفا بالعباد ومراعاة لتأصل بعض العادات في النفوس. (4) مبادرة الشارع إلى حل المشاكل التي ضاق أصحابها بها ذرعا، فيأتي الفرج الإلهي بعد الشدة، فيكون لهذا أثر طيب في النفوس. (5) معرفة الأحداث التاريخية التي حدثت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم من جهاده وأعماله ومواقف المؤمنين بدعوته والجاحدين لها، فهي مصدر هام من مصادر السيرة النبوية. (6) معرفة أسباب النزول تيسر حفظ الآية وتثبتها في الذهن لارتباط الأسباب بمسبباتها، والأحكام بالحوادث، والحوادث بالأشخاص والأزمان والأماكن التي حدثت فيها، فمعرفة هذه تعين على استذكار الآية وانتقاشها في الذهن وفهم معناها، وهذا ما يسمى في علم النفس بتداعي المعاني حيث يذكر الإنسان الأشياء بذكر ما يقارنها .
- ومن الجدير بالذكر انّ هذه القاعدة لا يمكن تطبيقها على كل آية، بل تطبّق هذه القاعدة على الآيات العامة أو المطلقة، أما إذا كانت مقيّدة وخاصة فلا يمكن تعميمها واطلاقها... كما قال الشيخ عبدالوهاب خلاف: إذا ورد النص الشرعي بصيغة عامة، وجب العمل بعمومه الذي دلت عليه صيغته، ولا اعتبار لخصوص السبب الذي ورد الحكم بناءً عليه، سواءٌ كان السبب سؤالاً أم واقعة حدثت؛ لأن الواجب على الناس اتباعُه، هو ما ورد به نص الشارع، وقد ورد نص الشارع بصيغة العموم، فيجب العمل بعمومه، ولا يعتبر خصوصيات السؤال أو الواقعة التي ورد النص بناءً عليها؛ لأن عدول الشارع في نص جوابه أو فتواه عن الخصوصيات إلى التعبير بصيغة العموم، قرينةٌ على عدم اعتباره تلك الخصوصيات. [42]

هوامش

1 فإنه لا تعرف الحكمة في عدم وجود سبب لنزول سورة الفاتحة ولا غيرها من السور التي لم يعرف لها سبب نزول. فالقرآن منه ما يتزل لسبب مذكور، ومنه ما يتزل لغير سبب مذكور.

2 نزلت سورة البقرة في السنة الأولى من الهجرة، كثير من آياتها في تقريع اليهود الذين كانوا يقفون دون التقدم الاسلامي، وبقية آياتها في تشريع بعض الأحكام كتغيير القبلة وتشريع الصوم والحج وغيرها. وسورة الحشر نزلت في خصوص جلاء يهود بني النضير، وسورة العاديات نزلت في خصوص أعراب وادي يابس أو غيرهم.

3 سورة النساء تتحدث عن أحكام الزواج وارث المرأة، وسورة الأنفال تتحدث عن غنائم الحرب والأسراء، وسورة الطلاق تتحدث عن خصوص أحكام الطلاق.

4 اهتم العلماء الباحثون في علوم القرآن بمعرفة سبب النزول، ولمسوا شدة الحاجة إليه في تفسير القرآن، فأفرده جماعة منهم بالكتابة والتأليف، ومن أشهرهم: (1) المحدث علي بن المديني شيخ الإمام البخاري المتوفى عام (234 هـ). (2) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري المتوفى عام (468 هـ). (3) الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى عام (852 هـ). (4) الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى عام (911 هـ)، والذي قال عن نفسه: وقد ألّفت فيه – أي في أسباب النزول – كتابا حافلا لم يؤلف مثله في هذا النوع سميته: (لباب النقول في أسباب النزول).

5 إذا ورد النص الشرعي بصيغة عامة وجب العمل بعمومه الذي دلت عليه صيغته، ولا اعتبار لخصوص السبب الذي ورد الحكم بناء عليه، سواء كان السبب سؤالاً أم واقعة حدثت. لأن الواجب على الناس إتباعه، هو ما ورد به نص الشارع، وقد ورد نص الشارع بصيغة العموم فيجب العمل بعمومه، ولا يعتبر خصوصيات السؤال أو الواقعة التي ورد النص بناء عليها، لأن عدول الشارع في نص جوابه أو فتواه عن الخصوصيات، إلى التعبير بصيغة العموم قرينة على عدم اعتباره تلك الخصوصيات.

6 راجع: الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس، الأم، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، 1410هـ) ج 3 ص 55

7 ومن هؤلاء الإمام ابن جرير الطبري فقد قرر في مواضع من تفسيره أن الآية تنزل بسبب من الأسباب ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب. ومنهم أبو بكر الجصاص في تفسيره أحكام القرآن فقد ذكر – رحمه الله – في مواضع عدة أن الآية تنزل بسبب معين إلا أن العبرة بعمومها لا بخصوص سببها، إلا إذا دل الدليل على التخصص بالسبب. ومنهم الثعالبي، وإبن عطية، وأبو حيان الأندلسي، والنسفي، وإبن كثير والقرطبي، والشوكاني في فتح القدير. وقد كان إهتمام الإمام الشوكاني بالمسألة واضحاً فقد أشار إليها في كثير من المواضع مرجحاً القول بعموم اللفظ وعدم تخصيصه بالسبب دون دليل. وحسب معرفتي كان الإمام الشوكاني من أكثر المفسرين تطبيقاً لهذه المسألة في تفسيره. وكذلك محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره "أضواء البيان" فقد أشار في مواضع كثيرة من تفسيره للمسألة مرجحاً أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب..

8 راجع: الزركشي، بدر الدين بهادر، البحر المحيط في أصول الفقه، (كويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1413هـ، ط 2) ج 3، ص 202؛ الآمدي، على بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، (سوريا: المكتب الإسلامي دمشق (د.ت)) ج 2، ص 239

9 راجع: صفي الهندي، محمد بن عبد الرحيم، نهاية الوصول في دراية الأصول، (المكتبة التجارية 1996م) ج 5، ص 1744؛ الإمام الشوكاني، محمد بن على، أرشاد الفحول تحقيق الحق من علم الأصول، (القاهرة: مطبعة العربي مصر، 1412 هـ، ط 1) ج 1، ص 485)؛ البخاري، عبد العزيز، كشف الأسرار على أصول فخر الإسلام البزدوي، (باكستان: طبعه كراتشي (د.ت)) ج 2، ص 266

10 راجع: القرافي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أدريس، شرح تنقيح الفصول، (مصر: مكتبة الكليات الأزهرية (د.ت)) ص 216؛ البحر المحيط ، ج 3، ص 203

11 أنظر: الحنبلي، العلامه تقي الدين إبن النجار، شرح الكوكب المنير في أصول الفقه، (سوريا: دار الفكر دمشق، 1400هـ) ج 3، ص 177؛ الربيعة، عبد العزيز بن عبد الرحمن، السبب عند الأصوليين، (1417هـ، ط 3) ج 3، ص 130

12 أنظر: شرح الكوكب، ج 3، ص 177؛ نهاية الوصول، ج 5، ص 1744؛ السبب عند الأصوليين، ج 3، ص 130

13 راجع: البحر المحيط، ج 3، ص 202؛ شرح الكوكب، ج 3، ص 177

14 راجع: المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد، شرح جمع الجوامع، (مصر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، (د.ت) ط 2) ج 2، ص 38

15 راجع: الشاطئ، عائشة بنت عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2، ص 8-9؛ ج 1، ص10-11

16 أنظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 1، ص 23

17 سورة التكاثر: 1-2

18 راجع: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 1، ص 199

19 سورة الضحى: 3

20 أنظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 1، ص 23

21 سورة التكاثر: 1

22 أنظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 1، ص 198

23 راجع: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2، ص 39-40

24 سورة الفجر: 15-16

25 راجع: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2، ص 150-151

26 راجع: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2، ص 167

27 أنظر: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2، ص 183

28 سورة الليل: 4

29 راجع: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2، ص 97

30 سورة البلد: 5

31 راجع: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 1، ص 179-180

32 سورة العلق: 9-14

33 راجع: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2، ص 26-27

34 سورة العصر: 2

35 راجع: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 2، ص 80-81

36 سورة الضحى: 3

37 راجع: التفسير البياني للقرآن الكريم، ج 1، ص 35-36

38 وإن قوله: "وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ... الآية" نزلت في بني قريظة والنضير، وإن قوله: "وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ... الآية" نزلت في بدر، وأن قوله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ... الآية" نزلت في قضية تميم الداري وعدي بن بداء، وقول أبي أيوب: إن قوله: "وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ... الآية" نزلت فينا معشر الأنصار...الحديث، ونظائر هذا كثير مما يذكرون أنه نزل في قوم من المشركين بمكة، أو في قوم من أهل الكتاب اليهود والنصارى، أو في قوم من المؤمنين. فالذين قالوا ذلك لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم؛ فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق، والناس وإن تنازعوا في اللفظ العام الوارد على سبب هل يختص بسببه أم لا؟ فلم يقل أحد من علماء المسلمين أن عمومات الكتاب والسنة تختص بالشخص المعين، وإنما غاية ما يقال إنها تختص بنوع ذلك الشخص فيعم ما يشبهه، ولا يكون العموم فيها بحسب اللفظ.

39 راجع: الواحدى، أبو الحسن على النيسابورى، أسباب النزول، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1989م)، ص 5

40 أنظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، (القاهرة: المطبعة السلفية، 1978م) ص 13

41 راجع: السلامة، محمد على، منهج الفرقان في علوم القرآن، (مصر: دار نهضة للطباعة والنشر والتوزيع، 2002م) ج 1، ص 36

42 راجع: الخلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، (بيروت: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 2008م) ص 189